السيميائيّة
المصطلح والمفهوم والنشأة

شيم دبابو*، خلود ترمانيني **

*طالبة دراسات عليا (ماجستير) قسم اللُّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة جامعة حلب

**مدرس، قسم اللُّغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة حلب.

الملخّص

يعاني مصطلح السيميائيّة من فوضى وتشابك يعترضان سبيل الدارس ويطرحان أمامه تساؤلات عدّة، تتعلّق بأصول المصطلح عربيًا والمفهوم الذي حمله، وبتنوّع المصطلحات التي تبنّتها الاتجاهات الغربية على اختلاف مدراسها واتجاهاتها، ويسلّط البحث الضوء على نشأة المصطلح غربيًا، مبينّا أولى التصورات التي تشكّلت عن السيميائية، ممثلةً بالاتجاهين (الأمريكي والأوروبي).

و يجيب البحث عن سؤالٍ مهمّ في هذا الميدان وهو: هل يفرّض اختلاف المصطلحات التي اعتمدها النقّاد العرب في العصر الحديث اختلافاتٍ منهجيةً في آليات تطبيق المقاربة السيميائية؟

و توصّل إلى أنّ هذه المصطلحات المتعدّدة تشير إلى مفهومٍ واحدٍ عامّ شاملٍ، وهو دراسة العلامات بأشكالها كافةً، غير أنّ جهود المترجمين العرب، واختلاف المشارب الغربية التي استقوا منها دراساتهم، بالإضافة إلى محاولاتهم تأصيل المصطلح والبحث عن مقابلٍ عربيّ له، ولّدت ما تشهده الساحة النقدية من تعدديّة في المصطلح، أمّا اختلاف المبادئ فيعود إلى محاولات مفكري الغرب تطوير هذا الميدان، وما نشأ عنها من مدارس تتباين في إجراءاتها التطبيقيّة، ولكنّها تتّفق في منطلقها الأساسي، وهو دراسة العلامة بوصفها شكلًا من أشكال النشاط الإنساني.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، السيميولوجيا، السيميوطيقا، بورس، سوسير.

ورد البحث للمجلة بتاريخ 2021/6/13

قبل للنشر بتاريخ 2021/7/29

المقدّمة:

عرفت الساحة النقدية العربية الحديثة والمعاصرة مجموعةً من المناهج النقدية التي أثبتت حضورها تنظيراً وتطبيقًا، وتعدّدت المشارب التي نهلت منها جهود النقاد العرب، مما أثرى النقد العربي باتجاهاتٍ عدّة، وآلياتٍ متنوعةٍ، تسعى لاستيعاب النتاج الأدبي نقديًا، ومقاربته بأدواتٍ حديثة، وقد استطاعت السيميائية أن تتبوأ مكانةً متميزةً في المشهد النقدي المعاصر، إذ صارت محطّ اهتمام الدارسين والباحثين في سعيهم للإفادة من أصولها النظرية، وإجراءاتها التحليلية في تناول النصوص الأدبية، فاتّسع مجالها وتشعبت مبادؤها وتنوعت آلياتها، وعلى الرغم من الجهود الجادّة التي يبذلها النقاد العرب في بلورة المشروع السيميائي عربيًا، فإنّ المصطلح النقدي في إطار الدرس السيميائي العربي يعاني من الفوضى والاضطراب، ولأنّ "المصطلحات وبكل علم من العلوم هي بمنزلة النواة المركزية التي بها يُشعّ المجال المعرفي، كما أنّ المصطلحات هي أولى قنوات التواصل بين شتى العلوم البشرية"[1]، وهي الخطوة الأولى نحو بلورة المفهوم، وإيضاح خطوط المنهج، فلابدّ من الإضاءة على حال المصطلح السيميائي، ورصد تجلياته في المجال النقدي العربي، وتتبع مساره بدءًا من التراث العربي، وصولًا إلى واقعه الراهن.

-موضوع البحث:

جاء في (لسان العرب) في مادة (س و م): "السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة. وسوَّم الفرس: جعل عليه السيمة"[2]، وعرّفها لالاند بموسوعته أنها: "علم الدلالات والإشارات: علم يدرس حياة الإشارات والعلامات في صميم الحياة

[1] **بو حاتم**، مولاي علي، **مصطلحات النقد العربي السيمياءوي**، 2005م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، ص (39).

2**ابن** منظور، جمال الدين محمد بن مكرّم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد (12)، مادة: (س و م).

الاجتماعية وهو يشكل جزءًا من علم النفس الاجتماعي، وتاليًا من النفسانيات العامة"[1].

السيمياء في التراث العربي القديم:

عرف العرب مصطلح السيمياء قديماً، وتعدّدت لديهم استعمالاته، ولعلّ من أبرز ما نجده في تراثنا العربي ما جاء عند ابن سينا. في مخطوط له بعنوان: (كتاب الدرّ النظيم في أحوال علوم التعليم) في فصل تحت عنوان: (علم السيميا)؛ يقول: علم السيمياء علم يُقصد به كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي، ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب[2]، فالسيمياء عند ابن سينا علم ارتبط بعالم الروحانيات والسحر والشعوذة، وهو إذ ذاك بعيد عن مفهوم العلامة الذي ورد عند الجرجاني مرتبطًا باللغة، إذ رأى أنّ "اللغة تجري مجرى العلامات والسمات ولا معنى للعلامة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جُعلت العلامة دليلاً عليه"3، ويفهم من قول الجرجاني أنّ ألفاظ اللغة علامات أو سمات دالة على المعاني، وهي بذلك تؤدي وظيفتها الإبلاغية فالعلامة والسمة كلاهما دالّ يحيل إلى معنى، وهذه الخصيصة تنطبق على اللغة أيضًا، وبالعودة إلى المعنى المعجمي للمفردة العربية للاستئناس به نجد أنّ "(السومة والسيمة والسيماء والسيمياء) ممدودين بكسرهن: العلامة، يُعرف بها الخير والشر، وقال الجوهري: السومة: العلامة تُجعل على الشاة، وفي الحرب أيضًا، وقال ابن الأعرابي: السيمة: العلامة على صوف الغنم، والجمع: السِّيَم، وقال تعالى: سيماهم في وجوههم من أثر السجود" [الفتح–29] "[4]، فالسمة –معجميًا–هي العلامة،

[1] **لالاند**، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، 2001م، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان– باريس، فرنسا، ط (2) ، 1265/3.

[2] ينظر: **الأحمر**، فيصل، **معجم السيميائيات**، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط (1)، 2010م، ص (14). وينظر: **رشيد بن مالك**، **السيميائية أصولها وقواعدها**، 2002م، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط(1)، ص (33).

[3] **الجرجاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **أسرار البلاغة**، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، لا تا، ص (276).

[4] **الزبيدي**، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، 2000م، تح: عبد الكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، ط (1)، الجزء (32)، مادة (س و م).

والسيمياء بهذا المعنى توافق المعنى الذي ينطوي عليه المصطلح المعاصر، ويتّسع المفهوم عند الجاحظ ليشمل مصطلحين متباينين، إذ نلحظ في إسهاماته فكرًا نقديًا سيميائيًا، يميّز به بين الدلالة والإشارة إذ رأى أنّ "الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد وبالعين والحاجب، والمنكب إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف، وقد يتهدد رافعًا السوط والسيف، فيكون ذلك زاجرًا رادعًا، ويكون وعيدًا وتحذيرًا(.....) والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه"[1]، فالعلامة عند الجاحظ على نوعين، لغوية وغير لغوية، وكلاهما أداة توصيل يستعملها الإنسان للتعبير عما يدور في نفسه، وعلى الرغم من اختلاف سيمياء ابن سينا عن مدلولها الحالي وارتباطها بعالم الروحانيات وتمزيج القوى، فإن الومضات السيميائية التي تجلّت في الفكر العربي القديم تنقسم إلى نوعين، الأول يشكّل إرهاصات فكرٍ سيميائي، في جعل العلامة أداة تبليغ، وتمييزها عن الدلالة اللغوية بشكل يشابه ما يقوم به نقاد العصر الحديث في تعاملهم مع الرافد السيميائي الغربي، غير أنّ هذا النوع ارتبط بمصطلح الإشارة، أما النوع الثاني فنجده أقرب إلى صورته الراهنة وذلك بالحفاظ على معناه المعجمي والاصطلاحي، لكنّه اقتصر على العلامة اللغوية كما رأينا عند الجرجاني، وهي أفكار وتصوّرات تضع الدارس في بدايات مسارٍ يمكن من خلاله أن يتتبّع السيميائية لغةً وفكرًا واصطلاحًا، ورفض القطيعة الكاملة بين السيمياء التي نعرفها اليوم، والتصورات السيميائية التي نجدها عند المفكرين العرب القدامى.

السيمياء في الفكر الغربي:

يعرّف معجم أكسفورد السيمياء (Semiotics) أنها: "دراسة العلامات والرموز ومعانيها واستخدامها"[2]، فالعلامة وفقًا لذلك حاملٌ دلالي، ودراسة محموله وأساليب التواصل عبره هي مجال السيمياء، وفي حين اقتصر معجم أكسفورد في تعريفه للعلامة على مصطلح (Semiotics)، نجد في معجم (Long Man) المعاصر

[1] **عمرو** بن بحر، أبي عثمان الجاحظ، **البيان والتبيين**،1998م، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي دار المدني، القاهرة، مصر، ط(7)، الجزء (1)، ص (77).

[2] Oxford dictionary، 9th edition، oxford university press، p (1407).

المصطلحين (semiotics) و (semiology)، اللذين يشيران إلى مفهوم واحد وهو. دراسة العلامات _من ضمنها الصور_ بوصفها شكلًا من أشكال التواصل البشري[1]، ما يعني أنّ المصطلحين يشيران إلى مفهوم واحد، وإنما يكمن الاختلاف في ميدان الممارسة كما هي حال المصطلح عربيًا، ويتّخذ هذا الاختلاف مساره الأبرز حين تعكس الفوارق اللغوية تباينات منهجيةً، تتطلّب من الدارس وقفةً مطوّلةً أمام خطوطه المتشابكة، ليحددّ موقعه من المبادئ التي يتبناها كلٌّ من هذه المصطلحات، وقد "قدّم معجم (Hachette) الموسوعي تعاريف وتفاريق واضحةً لهذه المصطلحات، بحيث عرّف السيميولوجيا بأنها: علم يدرس العلامات و أنساقها داخل المجتمع، وحدّد السيميوطيقا بأنها: النظرية العامة للعلامات، والأنظمة الدلالية اللسانية وغير اللسانية"[2]، وعلى ضوء هذا التعريف تصبح السيميولوجيا (semiology) دراسة العلامات ضمن إطار الممارسة الاجتماعية ببعدها الثقافي الخاضع للمجتمع، بينما تمثل السيميوطيقا (semiotics) الجانب النظري لدراسة العلامات بأشكالها كافة، وهي بذلك أوسع من السيميولوجيا، ومن ثمّ، فإن المتاهات التي سببّت ما نراه الآن من اضطراب في استعمال المصطلح عربيًا، تعود بداياتها إلى الاتجاهات الغربية، وإلى المصطلح الذي تبناه كلّ اتجاه منها، والانطلاق منها يفرض عودة إلى مرحلة التبشير بولادة السيميائية على يد العالم السويسري (فرديناند دوسوسير) في أحد فصول كتابه (محاضرات في علم اللغة العام) الذي جمعه ونشره طلابه بعد وفاته، "يمكننا إذن أن نتصوّر علمًا يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، علمًا قد يُشكّل فرعًا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعًا من علم النفس العام، وسوف نُسمّي هذا العلم بالسيميولوجيا"[3]، فهي عند دوسوسير تدرس الإشارات والأنظمة والقوانين التي تحكمها، وعلى الرغم من أنها بحسب تصريح دوسوسير علمٌ غير ناضج، يسعى لإثبات

[1] Long man of contemporary English، p(1491).

[2] **مشارف**، عبد القادر، **الدرس السيميائي بين التراث والحداثة**، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلق، الجزائر، لا تا، ص (15).

[3] **داسكال**، مارسيلو، **الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة**،1987م، تر: حميد الحمداني وآخرون، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص (17).

حضوره، وإرساء مبادئه، إلّا أنّ بعض الدارسين عدّوا البداية الحقيقية للسيميولوجيا كانت مع التصور السوسيري، وعلى الجهة الغربية الأخرى، نجد السيميائية تنشأ في ظلّ الفلسفة معبّرة عن نفسها باتجاه آخر، و"ارتبط هذا الاتجاه بالفيلسوف المنطقي تشارلز سندرس بيرس (Charles s.pierce) (1838–1914م)، وهو الذي أطلق على (علم العلامات)، مصطلح السيميوطيقا (Semiotique)، وتقوم هذه الأخيرة لديه على المنطق والظاهراتية والرياضيات"[1]، فالسيميوطيقا من وجهة نظره مدخل ضروري للمنطق، وهي بذلك ذات وظيفة فلسفية تشمل جميع مظاهر النشاط البشري.

لاشكّ في أن كلا الاتجاهين، الأمريكي ممثلا ببيرس والأوروبي ممثلًا بسوسير يمثّلان الخطّ الأول في المتاهة الدلالية للمصطلح، إذ تفرعت عن هذين الاتجاهين مدارس واتجاهاتٍ عدّة، لكلّ منها مبادئه ومصطلحاته الخاصة، وتمثل هذه التفرعات المشارب التي استقى منها الميدان العربي مصطلحاته وتصوراته السيميائية، و قد "عرف هذا المصطلح أثناء محاولة نقله إلى العربية فوضى كبيرة ناتجة عن عدم فهم ووعي جيد للمصطلح، وقد يكون ذلك بسبب محاولة تطويعه ليتماشى وسلالة اللغة العربية، كما قد يرجع ذلك إلى تعصب كثير من الباحثين للتراث فيحاولون إيجاد مقابل له في تراثنا العربي"[2]، فنجد منها (السيميائية، السمائية، السيميوطيقا، السيميولوجيا، علم الرموز، علم العلامات، الرموزية)، "ستة وثلاثون مصطلحًا عربيًا أثمرتها جهود الدارسين العرب في ترجمة مصطلحين أجنبيين اثنين، يعبران عن مفهومين متداخلين، لكنهما واضحان نسبيًا"[3]، وقد تنبّه بعض الدارسين العرب إلى أنّ هذه التعددّية في المصطلح تنحدر من رافدين غربيين أساسيين، وهما سسمسولوجيا سوسير وسيميوطيقا بيرس، فانصرفوا إلى الكشف عن الفروق الطفيفة بين هذين الاتجاهين، وهنا يجد الدارس والمهتمّ بالمجال السيميائي نفسه أمام اختلاف

[1] **حمداوي**، جميل، **مدخل إلى السميوطيقا السردية**،2015م، كتاب مخطوط، المغرب، ص (16).

[2] الأحمر، فيصل، **معجم السيميائيات**، ص (14).

[3] انظر: **وغليسي**، يوسف، **مناهج النقد الأدبي**،2007م، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، ط (1)، ص (101) وما بعدها.

اصطلاحي يحيل إلى تباين في المبادئ والتصورات، فمنهم من يرى أن" السيميولوجيا عبارة عن نظرية عامة وفلسفة شاملة للعلامات، أو هي بمثابة القسم النظري، في حين تُعدّ السيميوطيقا منهجية تحليلية تشتغل في مقاربة النصوص والخطابات والأنشطة البشرية، تفكيكًا وتركيبًا وتحليلاً وتأويلاً، وهي كذلك بمثابة القسم التطبيقي للسيميولوجيا"[1]، غير أنّ هذا التقسيم يطرح إشكالية تكمن في أمرين: أولهما أنه يفترض حدودًا للسيميولوجيا الأوروبية تعيق خروجها إلى الحيز التطبيقي، وتقصر التطبيق المنهجي على السيميوطيقا الأمريكية فقط، والواقع أنّ لكلّ اتجاه منظريه ونقاده ومجاله التطبيقي الخاص، وثانيهما أنّ مردّ هذا التمييز بين السيميولوجيا والسيميوطيقا يعود إلى مدرسة باريس التي تبنّت مصطلح (السيميوطيقا) للتعبير عن تصوراتها النظرية والمنهجية والتطبيقية التي تختلف عن التصورات والآليات الإجرائية لدى المدارس الفرنسية السابقة، فتفردت بين ما سبقها وما أتى بعدها من الاتجاهات الأوروبية، إذ استعارت من الاتجاه الأمريكي مصطلحه وبعض تصنيفاته، ومن ناحية أخرى نجد الغذامي يحاول إبعاد مصطلح السيمياء عن الدرس العربي. مؤيدًا صلاح فضل في رؤيته[2] أن القارئ العربي قد يفهم من مصطلح السيمياء شيئًا يتّصل بعالم الفراسة وتوّسم الوجوه أو أن يربطها بالسيميا وهو العلم الذي اقترن في مراتب المعارف العربية بالسحر والكيميا[3]، ويستقرّ على مصطلح السيميولوجيا مستعيرًا المصطلح الأقرب من وجهة نظره إلى آليات الاشتغال التطبيقية، ويمكن القول إن "إشكالية المصطلح النقدي السيميائي التي حدثت عند دخول السيميائية إلى العرب الحداثيين تعود إلى مجموعة من الأسباب يمكن حصرها فيما يلي:

1- إشكالية نقل المصطلح من (Semiolgie) و(Semiotics) في اللغات الأجنبية، حيث لا نجد تعريفًا أو مصطلحًا دقيقًا له متفق عليه بين النقاد العرب الحداثيين.

[1] **حمداوي**، جميل، **الاتجاهات السيميوطيقية**،2015م، كتاب مخطوط صادر عن مكتبة المثقف الالكترونية، المغرب، ص (11).

[2] **فضل**، صلاح، **النظرية البنائية في النقد الأدبي**،1980م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص (446).

[3] **الغذامي**، عبد الله، **الخطيئة والتكفير**،1998م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ص (44).

2- اختلاف التكوين الفكري والعلمي لعدد من المترجمين لمصطلحي (Semiolgie) و(Semiotics).

3- الترجمة أحيانًا تتمّ بصفة غير مباشرة بتوسّط لغات من اللغات المشهورة كالفرنسية"[1]، جميعها أسباب أسهمت بما يشهده المصطلح من اضطراب وفوضى.

ومهما تعدّدت الجذور اللغوية للمصطلح التي تختلف أحيانًا في أحضان لغة واحدة، فلا نستطيع أن نُرجع اضطراب المصطلح العربي إلى اختلاف التكوين الفكري والعلمي للمترجم العربي، وتبنّيه اتجاهًا دون آخر فقط، ذلك لأنّ المصطلح الغربي قد نضج في بيئته الغربية واتخذ موقعه الواضح من الدراسات النقدية والفلسفية، ولم ينشأ الاضطراب إلا في أحضان الترجمة التي أنتجت مصطلحات عدّة، سعى المترجمون من خلالها إلى تأصيل المصطلح بإيجاد مقابل له في التراث العربي، فضلًا عن محاولات العثور على مقابل عربي يعبّر عن المفهوم ذاته، فانزاح المصطلح أحيانًا عن دلالته التي وضع لها في بيئته الثقافية الأصلية، وعلى الرغم من اتفاق الغالبية على أن (السيميولوجيا) تمثل النظرية الأوروبية، و(السيميوطيقا) تمثل النظرية الأمريكية، فإن "أهل المغرب العربي قد دعوا إلى ترجمتها ب(السيمياء) محاولة منهم لتعريب المصطلح و(السيمياء) كما يقول الدكتور معجب الزهراني: ترتبط بحقل دلالي لغوي ثقافي"[2]، وإذا ما أردنا مراعاة خصوصية اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها (العربية)، فإننا نجد أنّ مصطلح (السيميائية) الذي تبنته طائفة من النقاد والمترجمين العرب، هو الأقرب إلى المفهوم الذي نعرفه اليوم، وعليه، فإن (السيميولوجيا، والسيميوطيقا، والسيميائية) تعبّر عن مفهومٍ عامٍّ شاملٍ واحدٍ، وهو دراسة العلامة بكلّ أشكال النشاط البشري، وإلى جانب إشكالية الترجمة نجد أن كلّ هذه التسميات لها ما يبررها، إذ تنطوي على فروقات ضمنية في بعض التصورات الفكرية والإجراءات المنهجية للسيميائيتين الأمريكية والأوروبية، وما نشأ عنهما من مدارس واتجاهات

[1] **فايدي**، عقيلة، **النظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربية الحديث**،2015م، رسالة ماجستير في النقد الحديث، جامعة الجيلالي، بونعامة بخميس مليانة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، الجزائر، ص (35).

[2] المرجع السابق، ص (37).

متجدّدة تنحو نحو غاية واحدة، وهي السعي إلى إرساء قواعد وأسس واضحة للسيميائية بوصفها منهجًا مكتملًا له حضوره في المجال المعرفي المعاصر.

الاتجاهات السيميائية

أولاً: الاتجاه الأمريكي:

ارتبط هذه الاتجاه بالفيلسوف الذرائعي الأمريكي شارل سنردس بيرس (Charles S.pierce)، وقد "سلك بيرس طريق المنطق ليجد من خلاله أحد معاني السيميوطيقا، فكوّن نظريةً مجرّدةً وشكليةً للعلامات، قريبة من الرياضيات، وذلك من أجل إقامة حساب منطقي يتسنى تطبيقه على جميع الأنظمة الدالة"[1]، ورأى أن المنطق مرادف للسيميوطيقا ولا يختلف عنها، وأنّ "المنطق بمعناه العام ليس سوى تسمية أخرى للسيميائيات"[2]، ويقدم بيرس نموذجًا عن العلامة مغايرًا لنموذج سوسير الثنائي، فالعلامة عند بيرس ثلاثيّة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعملية الإدراك، وعدّ كلّ ما يصدر عن الإنسان علامةً تسير وفق ثلاث عمليات متداخلة، ومن ثمّ، قسّم الوجود إلى مقولات ثلاث، "عالم الممكنات (أولانية) وعالم الموجودات (ثانيانية) وعالم الواجبات (ثالثانية)"[3].

1-المرحلة الأولى (عالم الممكنات): وتكون الأشياء في هذه المرحلة، "على شكل أحاسيس ونوعيات مفصولة عن أي سياق زماني أو مكاني، وهذا ما يشكّل مقولة الأولانية، وتشير هذه المقولة إلى الإمكان فقط، فلا شيء يوحي بأنّ معطياتها قد تتحقق في واقعة ما، فالسعادة مثلًا -قبل يكون هناك إنسان سعيد- لم تكن سوى حالة شعورية محتملة"[4]، وهي بذلك أحاديّة تشير إلى إمكانية وجود الأشياء بذاتها من غير أن تتفاعل مع طرف آخر، فاللون الأحمر ممكن الوجود بذاته قبل أن يصبح صفةً لشيء ما بتفاعله معه.

[1] **قاسم**، سيزا ونصر حامد أبو زيد، **مدخل إلى السيميوطيقا**، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر، ص (52).
[2] **بنكراد**، سعيد، **السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ص (68).
[3] **حمداوي**، جميل، **الاتجاهات السيميوطيقة**، ص (17).
[4] بنكراد، سعيد، **السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)**، ص (88).

2- المرحلة الثانية (عالم الموجودات): تشير إلى انتقال الأشياء من مرحلة الإمكان إلى مرحلة التحقق حيث " تتجسد الأحاسيس والنوعيات في وقائع مخصوصة وهو ما يشكل مقولة الثانيانية"[1]، كأن يكون الرجل سعيدًا مثلًا، وهنا تصبح المقولات ثنائية، تكتسب تحقّقها الفعلي بتفاعلها مع آخر، فالضوء الأحمر ناتج عن علاقة تفاعلية بين المقولتين السابقتين (اللون الأحمر والضوء).

3- المرحلة الثالثة (عالم الواجبات): وتمثل الانتقال في الإدراك من المحسوس إلى المجّرد لتشكّل مما سبق قانونًا، عندما "تجرّد المعطى من بعده المحسوس لكي تكسوه بغطاء مفهومي، وفي هذه الحال نكون أمام القانون الذي سيمكننا من التعرّف استقبالًا على الوقائع"[2]، وهذا ما يتطابق مع مقولة الثالثانية التي تقع بها الأشياء بين ثانٍ وثالث، كالانتقال من المحسوس (الضوء الأحمر) إلى المجرّد وهو (الوقوف)، ومن ثمّ، يصبح قانونًا يمكن تطبيقه على الظواهر المشابهة. وبناءً عليه .يحدد بيرس نموذجًا ثلاثيًا لبناء العلامات على النحو التالي:

1- الممثل (الماثول): وهو الشكل الذي تتّخذه الإشارة وهو ليس بالضرورة ماديًا، مع أنه يعدّ كذلك عادة، ويسميه بعض المنظرين حامل الإشارة.
2- تأويل الإشارة (المؤول): وهو المعنى الذي تحدثه الإشارة.
3- الموجودة (الموضوع): وهي شيء يتخطى وجوده الإشارة التي يرجع إليها (المرجع إليه).[3]

فالعلامة عند بيرس تتكّون من حامل لها، وهو ما يقابله الدال في المنهج السوسيري، والمؤول –ويجب عدم الخلط بين المؤول وهو المعنى الذي تخلقه الإشارة في ذهن المتلقي، وبين الإنسان الذي يقوم بعملية التأويل والتلقي– و الموضوع الذي يقوم الماثول بتمثيله، والحركة بين هذه الأطراف الثلاثة تسمى سيرورة المعنى.

---

[1] بنكراد، سعيد، **السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)**، ص (88).

[2] المرجع السابق، ص نفسها.

[3] انظر: **تشاندلر**، دانيال، **أسس السيميائية**، 2008م، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط (1)، ص (69).

أما عن أنواع العلامة من حيث الدلالة على الموضوع، فقد قسّمها بيرس أيضًا إلى ثلاثة أنواع أساسية (الأيقون icon، والشاهد أو الدليل index، والرمز symbol).

1- الأيقون (Icon): "وهي علامة تدلّ على موضوعها من حيث إنها ترسمه أو تحاكيه، وبالتالي يُشترط بها أن تشاركه بعض الخصائص، أي أن تمثّله من جهة التشابه"[1]، ومن ذلك الصور والرسوم البيانية والخرائط.

2- الشاهد أو الدليل (Index): و"يختصّ بعلاقة المجاورة بينه وبين الموضوع، وبسبب هذه العلاقة المباشرة مع الموضوع، كان من طبيعة هذا الأخير أن يكون فردًا أو حدثًا مخصوصين متعينين في الزمان والمكان"[2]، فالعلامة هنا ترتبط بموضوعها بعلاقةٍ سببيةٍ، وهذه السببية تفترض تجاورًا مكانيًا وزمانيًا معينًا، ويجب ألّا نفهم من التجاور التلازم المكاني الذي يضع الموضوع والعلامة في حيزٍ مكاني واحدٍ أمام المتلقي، فإذا قلنا مثلًا إنّ الدخان دليل على وجود النار، لا يؤدي الدخان هنا دور العلامة إلا بغياب النار عن مجال الرؤية، وإلا فلسنا بحاجة للاستنتاج أو والانتقال من الحسي إلى المجرد كما تتطلب سيرورة المعنى، ويميز بيرس بين نوعين من الشواهد: "شاهد أصليّ يرتبط مباشرة بموضوعه وشاهد منحدر، هكذا مثلاً تُشكِّلُ الطريق التي تؤدي إلى مدينةٍ ما شاهدًا أصليًا، بينما إشارة السير التي تدلّ على هذه المدينة هي شاهد منحدر"3، فالشاهد يصنّف من حيث دلالته على المعنى مباشرة أو بالاعتماد على وسيط، والطريق تدلّ على المدينة مباشرة، بينما تعدّ الإشارة الطرقيّة وسيطًا بين الطريق وما يؤدي إليه.

3- الرمز (symbol): "وهو علامة تدلّ على موضوعها لمجرد الوضع، دون أن تكون هناك علاقة شبهٍ أو مجاورة"[4]، ولا يعني هذا أنّ الأيقون والدليل لا يتّصفان

[1] **فاخوري**، عادل، **تيارات في السيماء**،1990م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط (1)، ص (57).

[2] المرجع السابق، ص (59).

[3] المرجع السابق، ص نفسها.

[4] **فاخوري**، عادل، **تيارات في السيماء**، ص (59).

بالعرفية، فالأيقون مثلًا وإن تقاطع مع المرجع إليه ببعض الصفات فلا يكون أيقونيًا محضًا، لأنّه يعتمد على ما هو اصطلاحي في صيغته التمثيلية، وكلّ أنواع العلامة تحتاج أخيرًا إلى تواضعٍ وعرفٍ وثقافةٍ متّفق عليها ضمن بيئةٍ ثقافيةٍ معينة، ويمكننا أن نعدّ العلامة الأيقونية والشاهد علاماتٍ "مقيدة أكثر بالمدلولات المرجعية، بينما يمكن اعتبار دالات الإشارات الرمزية محدِّدةً أكثر لمدلولاتها"[1]، لأنّ الأيقون والدليل مرتبطان بالمعنى وبالتالي، فهما أكثر شمولًا وقابليةً للتعميم على ثقافات مختلفة (كالخرائط)، أما الرمز فهو مضاف إلى مدلوله، وللعلاقة بين الدال والمدلول صلةٌ بتحفيز الإشارة، "فكلما قيّد المدلول الدال ازداد تحفيز الإشارة، فالإشارات الأيقونية محفزة جدًا، أمّا الإشارات الرمزية فغير محفزة، وكلما كانت الإشارات أقل تحفيزًا ازدادت الحاجة إلى تعلّم اصطلاح متّفق عليه"[2]، أي كلما اقتربت العلامة من مدلولها اتسمت بالتكثيف، وهي وفقًا لتصنيف بيرس تتدرّج بذلك من التشابه أو التطابق إلى التجاور ثمّ إلى العرف، وهو أبعد الأنواع عن المدلول وأقلّها كثافة وتحفيزًا.

إنّ الثلاثيات السابقة تمثل عند بيرس منطلقاتٍ فكريةً أساسيةً، يشتقّ بيرس منها تقسيماتٍ أخرى بمتواليات توليدية، يستخلصها بعملياتٍ رياضيةٍ منطقيةٍ حتى يصل إلى ستة وستين تصنيفًا، وهذه التصنيفات تتسم بتوسعٍ وتشعّبٍ وتعقيدٍ جعلها محلّ نقدٍ واعتراضِ الكثير من الدارسين الذين تجاوزوها في دراساتهم واكتفوا بالوقوف عند الثلاثيات الأولى للعلامة، ذلك لأنّ "سيميوطيقا بيرس صالحة لتطبيقها في إطار المقاربة النصيّة والخطابية باستعارة مفاهيمها، واستدعاء أبعادها التحليلية الثلاثة: البعد التركيبي، والبعد الدلالي، والبعد التداولي. بالإضافة إلى المفاهيم الدلائلية الأخرى الثلاثة، الأيقون، والرمز، والإشارة، لأنّ كثيرًا من الإنتاجات النصية والإبداعية، تحمل دلالات أيقونية بصرية، تحتاج إلى تأويل وتفسير[3]، وبناء عليه، تصلح هذه المنطلقات –بتصنيفاتها الأولية فقط– للتطبيق على كلّ معطيات التجربة الإنسانية، طالما أنها

---

[1] **تشاندلر**، دانيال، **أسس السيميائية**، ص (83).

[2] المرجع السابق، ص (84).

[3] انظر: **حمداوي**، جميل، **الاتجاهات السيميوطيقية**، ص (19).

تمثل في منطلقها عملية الإدراك التي تلازم الإنسان في تجاربه كافة، وتستند إلى المنطق العقلي في حركته ضمن سيرورة المعنى.

ثانيًا: الاتجاه الفرنسي:

لا يخفى على متتّبع المسار السيميائي أنّ ما قدمه فرديناند دوسوسير في يعدّ شهادة ميلاد للسيميائية، إذ بشّر فيها بعلمٍ جديدٍ أطلق عليه اسم (السيميولوجيا). ومهمّة هذا العلم عنده أن يعرّفنا على قوام العلامات والقوانين التي تحكمها، ورأى أنّ اللسانيات ليست إلا فرعًا من فروع هذا العلم، وعليه فالقوانين التي تكتشفها السيميولوجيا يمكن تطبيقها على اللسانيات[1]، والعلامة عند سوسير ثنائية مكوّنة من طرفين تربط بينهما علاقة اعتباطية قائمة بين الصورة السمعية والتصوّر الذهني، وهما:

1-الدال: "إن الدال عند سوسير صورة سمعية مشتقّة من كيان صوتي، أو هي تمثيل طباعي في حال وجود الكتابة"[2]، ويتميز الدال عند سوسير بأنّه:

أ-" نفسي وليس ماديًا، فنحن لا نحتاج إلى استحضار الجزء المادي في تعريفه"[3]، وعليه، يصبح الدال صورةً نفسيةً مرتبطةً بالكلام وما تحدثه من أثر يستدعي إلى ذهن المتلقي مفهومًا ما، "فنحن نستطيع أن نتحدث إلى أنفسنا أو نستظهر مسرحية أو قصيدة شعرية دون تحريك الشفاه"[4].

ب-"مفروض وليس حرًا، فالذات المتكلمة لا تُستشار في أمره، ومن ثمّ، لا تستطيع تبديله ولا تغييره، فهو نتيجة عرف"[5]، فالكلام إذن وظيفةً ثقافيةً، يكتسبها المتلقي ويخضع لها من غير أن يتدخل بها.

2-المدلول: "وهو الصورة الذهنية التي تستدعيها سلسلة من الأصوات في ذهن المستمع"[1]، فالمدلول هو الصورة المجرّدة عن الشيء، وليس الشيء نفسه في وجوده

[1]انظر: **فاخوري**، عادل، **تيارات في السيمياء**، ص (30).

[2]**بنكراد**، سعيد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص (76).

[3]المرجع السابق، ص نفسها.

[4]المرجع السابق، ص (77).

[5]المرجع السابق، ص (77)

المادي، وهذا التجريد يمنحه تعدّدية يحكمها السياق، فالدال والمدلول وجهان لورقة واحدة، "كلاهما نفسيّ محضٌ، كلاهما شكل وليسا مادة"[2]، يحيل أحدهما للآخر بغياب الوجود المحسوس لهما، وهما بذلك مبعدان من الواقع المادي أثناء عملية التواصل، والرابط بينهما–بحسب دوسوسير–اعتباطي، "والاعتباطية في مفهومها الأدنى هي غياب منطق عقلي يبرّر الإحالة من دال إلى مدلول"[3]، إذ لا يقوم هذا الاتفاق على أسباب تجعلنا نربط بين الدال ومدلوله، كأن يحمل الدال بعض صفات المدلول، أو أن يتطلب المعنى اختيار دالّ معيّن له، وهو إذ ذاك يخالف طرح بيرس الذي اعتمد في تصنيفه للعلامات على علاقتها بموضوعها، بالإضافة إلى أن شمولية العلامة للأنساق اللغوية وغير اللغوية التي اقترحها سوسير تتعارض مع مبدأ الاعتباطية في مواقع عدّة، فالعلامات الشمية؛ كالروائح مثلًا لابدّ أن تحمل بعض صفات مدلولها، والعلامات البصرية التي تعتمد على الخطوط أو الرسوم البيانية أو التشكيلية، تشابه مدلولها الذي وضعت لأجله، فضلًا عن العلامات الخاضعة لمبدأ السببية، التي تتجلى نتيجةً حتميةً لأسباب سابقة عليها، وهذه المسببات هي التي تحكم العلامة، وهي أيضًا سابقة على العرف الذي يقتصر دوره في هذا النوع على التعرف إلى الظاهرة، وإدراجها ضمن مخزونه الثقافي.

–الخاتمة:

يعدّ الاتجاهان الأمريكي والأوروبي الرافدين الأساسين اللّذين انبثقت عنهما التيارات السيميائية السائدة في العصر الراهن، فقد أفاد كثيرون من نظرياتهم التي شكّلت الحجر الأساس لما جاء بعدها، إذ تشعّبت جهود العلماء والنقّاد في مرحلة ما بعد السيمياء السوسيرية، فتفرّعت عنها اتجاهات عدّة امتدّت من أوروبا إلى أمريكا، مثل (سيمياء الدلالة، وسيمياء التواصل، وسيمياء الرمز، والسيمياء المادية، وسيميماء الثقافة)، وقد اقترح بعض النقاد تصنيفها إلى اتجاهات ثلاث تندرج ضمنها هذه

---

[1] **قاسم**، سيزا ونصر حامد أبو زيد، **مدخل إلى السيميوطيقا**، ص (19).

[2] **تشالدنر**، دانيال، **أسس السيميائية**، ص (47).

[3] **بنكراد**، سعيد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ص (77).

الفروع، وهي (سيمياء التواصل، سيمياء الدلالة، سيمياء الثقافة)، وجميعها اتجاهات تسعى إلى استكمال المشروع السيميائي الذي ينهض على مبدأ دراسة العلامة بأشكالها كافّةً، بغية الوصول إلى تصوّر واضح وآليات تصلح للتطبيق على أشكال النشاط الإنساني وفي مقدمتها الأدب.

المصادر والمراجع

1. **ابن مالك**، رشيد، **السيميائية أصولها وقواعدها**،2002م، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط (1).
2. **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرّم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد (12)، مادة: (س و م).
3. **الأحمر**، فيصل، **معجم السيميائيات**، 2010م، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر، ط (1).
4. **بنكراد**، سعيد، **السيميائيات (مفاهيمها وتطبيقاتها)**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية.
5. **بو حاتم**، مولاي علي، **مصطلحات النقد العربي السيمياءوي**،2005م، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية.
6. **تشاندلر**، دانيال، **أسس السيميائية**،2008م، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط(1).
7. **الجرجاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **أسرار البلاغة**، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية.
8. **حمداوي**، جميل، **الاتجاهات السيميوطيقية**،2015م، كتاب مخطوط صادر عن مكتبة المثقف الالكترونية، المغرب.
9. **حمداوي**، جميل، **مدخل إلى السميوطيقا السردية**،2015م، كتاب مخطوط، المغرب.

داسكال، مارسيلو، **الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة**، تر: حميد لحمداني وآخرون، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987م.

10. **الزبيدي**، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**،2000م، تح: عبد الكريم العزباوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، ط (1)، الجزء (32).
11. **عمرو بن بحر**، أبي عثمان الجاحظ، **البيان والتبيين**،1998م، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي دار المدني، القاهرة، مصر، ط (7)، الجزء (1).
12. **الغذامي**، عبد الله، **الخطيئة والتكفير**،1998م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
13. **فاخوري، عادل، تيارات في السيمياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط(1).
14. **فضل**، صلاح، **النظرية البنائية في النقد الأدبي**،1990م، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م.
15. **قاسم**، سيزا ونصر حامد أبو زيد، **مدخل إلى السيميوطيقا**، دار إلياس العصرية، القاهرة، مصر.
16. **لالاند**، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**،2001م، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان– باريس، فرنسا، ط (2)، 1265/3.
17. **وغليسي**، يوسف، **مناهج النقد الأدبي**،2007م، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزائر، ط (1).

الرسائل العلمية

1. **فايدي**، عقيلة، **النظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربية الحديث**،2015م، رسالة ماجستير في النقد الحديث، جامعة الجيلالي، بونعامة بخميس مليانة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، الجزائر.
2. **مشارف**، عبد القادر، **الدرس السيميائي بين التراث والحداثة**، جامعة حسيبة بن بو علي، الشلق، الجزائر.

المصادر الأجنبية

1. Long man, Dictionary of contemporary English.
2. Oxford dictionary، 9th edition، oxford university press.